

بريق بلا صوت

في صباح اليوم السادس من شهر أغسطس سنة ١٩٤٥ ، وفي الساعة الثامنة وخمس عشرة دقيقة تماماً بالوقت الياباني ، وفي اللحظة التي لاح فيها بريق القنبلة الذرية فوق هيروشيا ، كانت الآنسة توشيكو سازاكي ، وهي كاتبة بإدارة مستخدمى مصانع الصفيح لآسيا الشرقية ، قد جلست على مقعدها في إدارة المصنع والتفتت برأسها ، تتحدث إلى الفتاة التي تجاورها . وفي هذه اللحظة كان الدكتور ماساكازو فوجي قد تربح في رواق مستشفى الخاص ، ليقراً جريدة أساهي التي تظهر في بلدة أوزاكا ، وكان هذا المستشفى يطل على أحد الأنهار السبعة التي تتفرع من نهر كبير على مقربة من مصبه وتقسم مدينة هيروشيا . ووقفت السيدة هاتسويو نكامورا وهي أرملة ترزى أمام نافذة مطبخها ترقب جاراً يهدم داره لأنها تعترض طريق حارة افتتحت للوقاية من حريق الغارات الجوية . وكان الأب فيلهلم كلاينسورج ، وهو قس يسوعى ألماني ، قد اتكا وهو بملابسه الداخلية على سرير صغير في الدور الأعلى من منزل البعثة الكاثوليكية الذي يتألف من ثلاث طبقات وهو يقرأ مجلة يسوعية اسمها « أبناء الزمن » . وكان الدكتور تيروفومي سازاكي أحد الجراحين الشبان في مستشفى الصليب الأحمر بالمدينة ، وهو بناء حديث واسع الأرجاء ، يسير في طرقات المستشفى ، وفي يده نموذج من دماء مريض ليختبره بمخبر فاسرمان . وكان القس كيوشي تانيموتو ، وهو راعي الكنيسة الميثودية بهيروشيا ، واقفاً على باب رجل ثرى بحى كوى ، وهو الحى الغربى من المدينة ، وقد تهباً لينزل

متاعاً من عربة يد بعد أن نقله من المدينة خوفاً من وقوع غارة بطائرات ب ٢٩ والضخمة ، وكان جميع أهل هيروشيا يتوقعون مثل هذه الغارة . ولقد قتل بالقنبلة الذرية مائة ألف من السكان ، وكان هؤلاء الستة بين الذين نجوا منها وهم لا يزالون في دهشة لبقائهم أحياء ، بعد أن مات هذا العدد العظيم . وكل واحد منهم يبدي أسباباً صغيرة أتاها مصادفة أو عن قصد — خطوة في الوقت الملائم أو قراراً بالدخول إلى البيت أو ركوب مركبة بدل الأخرى — وهي التي أدت إلى نجاته . وكل واحد منهم يعلم أنه بنجاته قد عاش حياته أكثر من عشر مرات ، وأنه رأى من الموت أكثر مما كان ينتظر أن يراه ، ولكنهم في وقت هذا الحادث لم يكونوا يعرفون شيئاً .

قام مستر تانيموتو القس من نومه في الساعة الخامسة من صباح ذلك اليوم . وكان وحده في دار الكنيسة ؛ لأن زوجته انتقلت للإقامة بضع ليال عند صديقة لها مع طفلها الذي يبلغ سنة من عمره إلى بلدة أوشيدا وهي ضاحية في الشمال . ولم يسلم من المدن الهامة باليابان غير مدينتين : كيوتو وهيروشيا من غارات الطائرات الضخمة التي يجب أن يسميها اليابانيون ب — سان أو مسترب في مزيج من الاحترام والألفة الأسيفة ، وهي الطائرات المعروفة باسم ب — ٢٩ . وكان مستر تانيموتو كجميع جيرانه وأصدقائه يكاد يعتره المرض بسبب قلقه . فلقد بلغت أبنائه مفصلة لا تبعت على الطمأنينة عن الغارات الضخمة على بلاد كوري واياواكوني وتوكوياما وغيرها من المدن القريبة . وكان يعتقد اعتقاداً جازماً بأن دور هيروشيا لا يلبث أن ييحيى ، ولم يطعم من النوم إلا قليلاً في الليلة السابقة بسبب التحذيرات العديدة من الغارات الجوية . ولقد كانت هيروشيا تتلقى هذه التحذيرات في كل ليلة تقريباً منذ أسابيع ؛ لأن طائرات ب — ٢٩ اتخذت بحيرة بيوا الواقعة إلى الشمال الشرقى من هيروشيا ملقياً للطائرات . ومهما تكن المدن التي يرغب الأمريكيون في ضربها بقلاعهم الضخمة فإن هذه القلاع كانت تطير فوق الساحل على مقربة من هيروشيا . ولقد صار أهل هذه المدينة بسبب الانذارات الكثيرة ، مع الاستمرار في الامتناع عن ضربها بطائرات ب — ٢٩ ، مهدى الأعصاب، وانتشرت الشائعات بينهم بأن الأمريكيين يعدون شيئاً خاصاً لهذه المدينة .

ومستر تانيموتو هذا رجل ضئيل الجسم سريع الحديث والضحك والبكاء ، وشعره الأسود طويل شيئاً ما ، وقد مشطه على الجانبين ، و بروز عظام جبهته فوق حاجبيه وصغر شاربيه وفمه وذقنه مما يجعل له منظراً عجيباً هو مزيج من الكهولة والشباب ، وكأنه صبي وإن كان حكماً ، ضعيف ولكنه شديد . وهو يتحرك في عصبية وسرعة ، ولكنه يقاوم هذا التسرع بما يدل على حيطة وتفكير . وقد أظهر حقا هذه الصفات في الأيام القليلة التي سبقت سقوط القنبلة . فهو فضلا عن حملته امرأته على المبيت في أوشيديا قد نقل جميع المتاع الذي يمكن نقله من كنيسته التي تقع في حي آهل بالسكان ، معروف باسم ناجاراجاوا ، إلى منزل صاحب مصنعحرير الريون في كوى التي تبعد نحو ميلين من وسط المدينة ، وكان مستر ماتسوى صاحب هذا المصنع قد فتح داره الواسعة لعدد كبير من الأصدقاء والمعارف كي ينقلوا إليها ما يريدون أن يكون بمنأى عن المساحة التي يخطر أن تضرها الطائرات . ولم يجد مستر تانيموتو مشقة في نقل الكراسى وكتب التراتيل ونسخ التوراة وتحف المذبح وسجلات الكنيسة على عربة يد بنفسه ، ولكن نقل مفاتيح الأرغن والبيانو الصغير كانت تتطلب شيئاً من المساعدة ، ولقد ساعده في اليوم السابق صديق له اسمه ماتسو في نقل البيانو إلى كوى ، ووعده في هذا اليوم أن يساعد بدوره مستر ماتسو في نقل متاع ابنته ، وهذا هو السبب في أنه استيقظ مبكراً

أعد مسر تانيموتو طعام الفطور لنفسه وكان يشعر بالتعب الشديد ، فقد أثر فيه مجهود نقل البيانو في اليوم السابق ، وليلة قضاها بغير نوم ، وقلق أسابيع ، وعدم التوازن في طعامه ، وهموم أهل كنيسته ؛ فكانت هذه المتاعب مجتمعة مما جعله غير صالح لما كان يقدر عمله في ذلك اليوم . وكان هناك شئ آخر ؛ فقد درس مستر تانيموتو اللاهوت في كلية إمورى ببلدة أتلانتا بولاية جورجيا ، وتخرج في الكلية سنة . ١٩٤٠ ، وكان يحسن التكلم بالانجليزية كل الاحسان ، ويرتدى ملابس أمريكية ، ويتصل بالمراسلة بأصدقاء أمريكيين إلى الوقت الذي ابتدأت فيه الحرب . وبين أناس تملكهم الخوف من التجسس — وربما كان هذا الخوف أيضاً قد ملك عليه حواسه — صار مركزه يزداد صعوبة . لقد استجوبه رجال الشرطة مرات عدة ، وسمع قبل ذلك بعدة أيام أن رجلا ذا نفوذ يعرفه اسمه مستر تاناكا وهو ربان سفينة من سفن شركة

تويو كيسن كايشا أحييل على المعاش ، وهو رجل يكره المسيحيين ، واشتهر في هيروشيا بأنه يجب أن يظهر مظهر المحسن وأنه رجل مستبد ، قال عنه إن مستر تانيموتو يجب ألا يؤتمن . ولقد أراد مستر تانيموتو أن يظهر للناس أنه على العكس ياباني مخلص ، فتولى رئاسة جمعية الجيران المحلية المعروفة باسم تونارييجومي . وهذه الجمعيات نشاط في نواح عدة ، وذلك مما زاد في أعماله التي كان من بينها تنظيم الوقاية من الغارات لنحو عشرين أسرة .

قبل الساعة السادسة من الصباح خرج مستر تانيموتو قاصداً دار مستر ماتسو ، فرأى أن الحمل الذي سيتقلونه هو « تانسو » أى صندوق ياباني كبير مليء بالملابس وأمتعة البيت . وسار الرجلان في طريقهما ، وكانت السماء في ذلك الصباح صافية والجو حاراً حتى لينذر بيوم عصيب في حره . وبعد بضع دقائق من سيرهما رنت صفارة الانذار بغارة رنيناً طويلاً مما يدل على اقتراب طائرات ، ولكنه يدل أهل هيروشيا على أن الخطر ليس كبيراً ؛ لأن الصفارة كانت ترن في كل صباح في نحو ذلك الوقت عندما تمر طائرة أمريكية لمراقبة الجو على هذه المدينة . وظل الرجلان يجران العربة ويدفعانها في شوارع المدينة . ومدينة هيروشيا تنبسط كالمروحة ، ويقع أكثرها على الجزر الست التي تتألف من الأفرع السبعة المتفرعة من نهر أوتا . وتشمل الأحياء التجارية والغاصة بالسكان منها نحو أربعة أميال مربعة في وسط المدينة ، وفيها يقيم ثلاثة أرباع السكان . ولقد نقص عدد السكان على أثر عدة نظم وضعت لإخلاء المدينة . فبعد أن بلغ عدد سكانها في أثناء الحرب ٣٨٠ ألف نزل إلى نحو ٢٤٥ ألف . وكان يحيط بالمدينة ويشغل أطرافها مصانع وضواح مليئة بالسكان . وإلى الجنوب منها تقع الجمارك وميناء جوى وبجر داخلى مليء بالجزر ، ويقوم على جوانبها الثلاثة الأخرى عدد من الجبال . اخترق تانيموتو ومستر ماتسو الأحياء المليئة بالحيوانات وقد أخذت تغص بالناس ، ثم عبرا نهريين وأخذا يسيران في شوارع كوى المنحدرة ليصعدا فيها إلى الأطراف والتلال . وعندما كانا يصعدان في هذا الوادى بعد أن بعدا عن الدور المتجمعة ، أطلقت الصفارة تعلن زوال الخطر . (فلقد رأى حراس الرادار اليابانيين ثلاث طائرات فقط فظنوا أنها جاءت للاستطلاع .) وكان دفع عربة اليد إلى دار صاحب المصانع متعباً . فلما تمكن الرجلان من الدخول إلى ساحة الدار وبلغا إلى الدرج الأمامية وقفا قليلا

ليستريحا . وكان أحد جوانب الدار بينهما وبين المدينة ، وكانت هذه الدار مثل أكثر الدور في ذلك القسم من اليابان تتألف من إطار خشبي وحوائط خشبية تحمل سقفاً ثقيلاً من الآجر . ولقد ملئت قاعتها الأمامية بالمراتب والملابس ، وكان منظرها كغارة وجوها منعش ، مليئة بالوسائد المريحة . وأمام الدار إلى اليمين من الباب الأمامي توجد حديقة كبيرة منظمة صخرية ، ولم يكن في الجو صوت طبارات ، وكان الصباح ساكناً والمكان رطباً لذيذاً .

ثم برق في الجو ضوء خاطف عابراً السماء . ويزكر مستر تانيموتو تماماً أن البريق سار من الشرق إلى الغرب ومن المدينة نحو التلال وكأنه قطعة من الشمس . ولقد كان لهذا البريق تأثير كبير في نفس كل من مستر تانيموتو ومستر ماتسو إذ استولى عليهما الخوف ، وكان أمام كل منهما وقت لهذا التأثير (لأنهما كانا بعيدين بنحو . . ٣٥ ياردة أو ميلين من مركز الانفجار) فجرى مستر ماتسو قاطعاً الدرج الأمامية ودخل إلى البيت وغاص بنفسه بين الوسائد حيث دفن نفسه فيها . وأسرع مستر تانيموتو بأربع أو خمس خطوات ورمى بنفسه بين صخرتين كبيرتين في الحديقة وقد لصق بجسمه في إحدى الصخرتين . وإذا كان وجهه غائماً في الصخرة فإنه لم ير ما حدث ، ولكنه شعر بتقل عجائبي . ثم سقطت عليه ألواح وأجزاء من الخشب وقطع من الآجر ولم يسمع أي صوت . (ولا يذكر أحد في هيروشيما أنه سمع أي صوت للقبلة ، ولكن صياداً في البحر الداخلي يسكن كوخاً بجيزة على مقربة من توزو وكانت تقيم فيها معه حماة مستر تانيموتو وأخت زوجته ، رأى هذا البريق وسمع انفجاراً هائلاً ، وهو يبعد نحو عشرين ميلاً عن هيروشيما . ويقول إن هذا الرعد كان أكبر مما سمعه عندما ضربت القلاع الطائرة ب - ٢٩ بلدة إيواكوني وهي تبعد عنه خمسة أميال فقط .)

وعندما جرؤ مستر تانيموتو على رفع رأسه رأى أن دار صاحب المصنع قد انهارت . ولقد تبادر إلى ذهنه أن قبلة مباشرة سقطت عليها . وارتفعت سحب من التراب حتى أحاط به ما يشبه الشفق ؛ وجزع جزعاً شديداً حتى إنه لم يفكر تلك اللحظة في مستر ماتسو وهو تحت الأتقاض . وجرى إلى الشارع ، ولاحظ وهو يجري أن الحائط المقام حول الحديقة والدار وكان من الأسمنت قد مال إلى الداخل لا إلى الخارج . وأول شيء رآه في الشارع شرذمة من

الجنود ، كانت تحفر في التل المواجه ، حفرة من إحدى آلاف الحفر التي يظهر أن اليابانيين كانوا عازمين على مقاومة الغزو بها ، يدافعون من تل إلى تل ويبدلون حياتهم ذمءاً بعد ذمء . وكان الجنود خارجين من الحفرة التي كان يجب أن تقيهم شر الطائرات ، ولكن الدماء كانت تسيل من رؤوسهم وصدورهم وظهورهم ، وكانوا ساكتين وقد استولى عليهم ذهول . ولقد أظلت المدينة ما يشبه غمامة محلية من التراب ، فاذا النهار ظلام من فوقه ظلام .

ولقد أعلن مذيع محطة الراديو في المدينة في الليلة السابقة لاجتماع القبلة ، وفي نحو منتصف الليل ، أن نحو مائتين من القلاع الطائرة ب - ٢٩ تقترب من جنوب هونشو ؛ ونصح سكان هيروشيا بأن ينزحوا إلى الأماكن التي اتخذت لوقايتهم . وكانت السيدة هاتسويوكامورا أرملة التريزي وهي تسكن في الحي المسمى نبورى - تشو ، والتي اعتادت منذ زمن بعيد أن تؤمر فتقطع ؛ قد نقلت أولادها الثلاثة - توشيو وهو صبي في العاشرة من عمره ، وبيكو وهي بنت في الثامنة من عمرها ، وبيكو وهي طفلة في الخامسة من عمرها - من فراشهم ، وألبستهم ملابسهم وسارت بهم إلى المنطقة الحربية بميدان الاستعراض الشرقى على الطرف الشمالى الشرقى للمدينة ، وهناك فرشت بعض الحصر وانطرح الأطفال عليها وناموا حتى الساعة الثانية صباحاً ، عندما استيقظوا من ضجيج الطائرات وهي تمر فوق هيروشيا . فما إن مرت الطائرات حتى عادت السيدة نكامورا بأطفالها إلى دارها فوصلوها بعد منتصف الساعة الثالثة بقليل ، ثم أدارت الراديو لتسمع الاذاعة ، فاذا به لسوء حظها كان يذيع إنذاراً آخر . فلما نظرت إلى أطفالها ووجدت شدة الاعياء الذى ارتسم عليهم ، وفكرت في عدد المرات التي انتقلت فيها إلى ميدان الاستعراض الشرقى في الأسابيع الماضية بغير جدوى ، قررت بالرغم من تعليقات الراديو أنها لا تستطيع الانتقال مرة أخرى . فوضعت أولادها تحت أعظيتهم على الأرض ، ووقدت هى نفسها في الساعة الثالثة صباحاً ، وأطبق عليها النوم للحال حتى أنها لم تسمع أصوات الطائرات عند مرورها فيما بعد .

واستيقظت على صوت الصفارة في الساعة السابعة ، فهضمت وارتدت ملابسها

سريعاً ، وأسرعت إلى منزل مستر تكاموتو رئيس جمعية الخيران المحلية . وسألته ماذا تفعل ؟ فقال إن عليها أن تلزم دارها إلا إذا سمعت صفارة تحذير ملحة ، وهي عبارة عن نذير صفارة منقطع . فعادت إلى دارها ، وأوقدت النار في المطبخ ، وأخذت تطهى شيئاً من الأرز ، وجلست لتقرأ جريدة « شوجوكو » وهي صحيفة هيروشيا الصباحية . وقد تنفست مرتاحة عند ما أعلنت الصفارة ابتعاد الطيارات في الساعة الثامنة . وسمعت أطفالها يتحركون فذهبت وأعطت كلا منهم حفنة من الفول السوداني ، وطلبت منهم أن يظلوا على وسائلهم إذ أنهم متعبون من السير في الليل . وكانت تأمل أن يخلدوا للنوم ، ولكن الرجل الساكن تحتها بدأ يذق دقا عنيفاً ويقطع ويصلح من الأخشاب ؛ فلقد كان المجلس البلدى مقتنعاً ككل إنسان في هيروشيا أن المدينة لا بد أن تهاجم قريباً ، وأخ على الأهالى بالتهديد والتحذير أن يتموا إنشاء حارات واسعة لاتقاء الحريق . وكان يرجو من ذلك أن يستطاع بهذا الاجراء وبمساعدة الأنهار حصر النيران التي قد تنشأ عن قنابل محرقة . وكان الجار يضحي متردداً بمنزله في سبيل سلامة المدينة . ولقد أصدر المجلس البلدى في اليوم السابق أمراً للمصالحات جسمانيا من بنات المدارس الثانوية بأن يعاون في تنظيف هذه الحارات ، فابتدأن في عملهن بمجرد سماعهن صفارة زوال الخطر .

عادت السيدة نكامورا إلى المطبخ ، وألقت نظرة على الأرز ، ثم أخذت تراقب جارها . ولقد تضايقت في مبدأ الأمر من الضجة التي سببها ، ولكنها عادت فتأثرت لحاله حتى كادت تبكى شفقة عليه . كان هذا الشعور متجهاً بصفة خاصة نحو جارها وهو يهدم داره لوحاً فلوحاً في زمن كان لا يحيص فيه من الدمار . ولكن بما لا ريب فيه أنها كانت تشعر بصفة عامة بشفقة على حال سكان المدينة جميعاً فضلاً عن حالتها الشخصية ، فلم تكن حياتها وقتئذ بالسهلة . فلقد التحق زوجها إيساوا بالجيش بعد مولد طفلتها مييكو بقليل ، وظلت مدة طويلة لا تسمع منه أو عنه شيئاً ، إلى أن وصلتها برقية في ٥ مارس سنة ١٩٤٢ جاء فيها : «لقد مات إيساوا ميتة شريفة في سنغافورة .» وعلمت فيما بعد أنه مات في يوم ١٥ فبراير الذى سقطت فيه سنغافورة ، وأنه رقى إلى جاويش ، ولم يكن إيساوا تزانيا ناجحاً ، وكان كل رأس ماله آلة لللياكة من مصانع سانكوكو . وعلى أثر موته ووقف الراتب الذى كان يرسله ، أخرجت السيدة نكامورا

تلك الآلة وبدأت تحيك الثياب بالقطعة . ومنذ ذلك الوقت أخذت تستعين على حياتها وحياة أولادها بالحياكة وإن كان كسبها ضئيلاً .
 وبينما السيدة نكامورا واقفة ترتقب جارها ، إذا بكل ماتراه عينها يضيء بيريقي أبيض لا يشبهه شيء مما رآته . ولم تلاحظ ماحدث لجارها ، بل دفعها شعور الأم نحو أولادها فخطت خطوة واحدة (وكانت الدار على بعد ١٣٥ ياردة أو ثلاثة أرباع الميل من مركز الانفجار) وإذا بشيء يحملها وكأنها تطير إلى الغرفة الثانية فوق إطار النوم المرتفع تتبعها أجزاء من دارها .
 تناثرت الأخشاب حولها عندما ارتمت على الأرض ، وتساقط عليها سيل من الآجر ، وصار كل ماحولها ظلاماً إذ دفنت تحته . ولم يكن الحطام متراكماً عليها ، فهضت وتحلصت منه . فسمعت طفلاً يصيح : « أنقذيني يا أماه ! » ورأت أصغر أطفالها — مبيكو التي هي في الخامسة من عمرها — قد دفنت حتى الصدر وهي غير قادرة على الحراك . فأخذت مسز نكامورا تعمل بأظافرها في يأس لتتقذ طفلتها ، ولم تكن ترى أو تسمع شيئاً عن طفلها الآخرين .

وكان الدكتور ماساكازو فوجي في الأيام السابقة للانفجار يتمتع بلذة النوم إلى الساعة التاسعة أو التاسعة والنصف . فهو رجل ثرى محب لنفسه وليس لديه عمل كثير . ولكن من محاسن المصادفات أن كان عليه أن يستيقظ مبكراً في ذلك الصباح الذي ألقبت فيه القنبلة ، ليودع إلى المحطة ضيفاً كان نازلاً في داره . فاستيقظ في الساعة السادسة . وبعد نصف ساعة خرج مع صديقه إلى المحطة التي لم تكن بعيدة . وسرا على نهريين وعاد إلى داره في الساعة السابعة عند ما كان صوت الصقارة ينذر إنذاراً غير متقطع . وتناول طعام الفطور . وإذا كانت الحرارة شديدة مع أن الوقت كان صباحاً خلع ملابسه الخارجية ، واتجه إلى شرفة الرواق ليقراً الجريدة . وكان بناء الرواق — بل كل البناء — عجيباً . فلقد كان الدكتور فوجي صاحب منشأة مألوفة لدى اليابانيين ، وهي مستشفى خاص لطبيب واحد . وكان هذا البناء قائماً إلى جانب نهر كيو ومن فوقه إلى جانب الجسر المسمى بهذا الاسم ، وهو يحتوى على ثلاثين حجراً لثلاثين من المرضى وأقربائهم ؛ لأن من عادة اليابانيين إذا مرض شخص وذهب إلى المستشفى ، أن يذهب معه واحد أو أكثر من أعضاء

الأسرة ، ليعيشوا معه ويظفروا طعامه ، ويغسلوا جسمه ، ويدلكوه ، ويقروا له ، ويظهروا له عطفهم العائلي الذي بدونه يكون المريض الياباني تعساً حقاً . ولم يكن لدى مستر فوجي أسرة للمرضى ، بل كان كل مالمديه حصير . ومع ذلك كانت عنده جميع الأدوات الحديثة ؛ فلديه آلة لأشعة إكس ، وأداة للدياترمي ، ومعمل للبحوث العلمية مبنى بالآجر وهو على استعداد تام . وكان بناء المستشفى قائماً ثلاثاً على الأرض وثلاثة على قنطرة فوق نهر كيو المتغير بالمد والجزر ، وهذا الجزء المعلق فوق النهر من البناء هو الذي يعيش فيه دكتور فوجي ؛ وهو ذو منظر عجيب ؛ ولكنه كان في الصيف رطباً . وكان من الرواق لا يشرف على مركز المدينة ، ولكنه يرى النهر وقوارب النزهة وهي ذاهبة جائية وهو منظر مبهج . ولقد كانت تمر أحياناً بالدكتور فوجي لحظات قلقه حين يرتفع نهر أوتا وفروعه فيفيض . ولكن يظهر أن القنطرة كانت من القوة بحيث بقي البناء سليماً .

كان دكتور فوجي فارغاً من العمل نسبياً منذ شهر ؛ لأنه أخذ يصرف مرضاه عندما رأى في يولية ، أن عدد المدن التي سلمت في اليابان أخذ يقل شيئاً فشيئاً ، وأن هيروشيما لا بد أن تصبح هدفاً في القريب . فقد رأى أنه في حالة حدوث نيران لا يستطيع إنقاذ المرضى . ولذلك لم يبق لديه يومئذ غير مريضين : امرأة من يانو جريجة في كتفها وشاب في الخامسة والعشرين في دور النقاهة من حروق أصيب بها ، على أثر ضرب مصنع الصلب الذي كان يعمل به وهو على مقربة من هيروشيما . وكان لدى دكتور فوجي ست ممرضات للعناية بمرضاه . أما زوجه وأولاده فكانوا في مكان أمين ؛ فالزوجة وأحد أبنائه يعيشان خارج أوزاكا ، وولد آخر وبنتان يعيشان في الريف عند كيوشو . وكانت تعيش معه ابنة أخ وخادمة وخدام ؛ فكان عمله قليلاً ؛ ولكنه كان لا يهتم لذلك إذ كان ادخر شيئاً من المال . فكان في الخمسين من عمره صحيح الجسم ، بادي السرور ، مرتاح البال ، ويجب أن يمضي مساءه في احتساء شراب الويسكي مع أصدقائه ، على أنه كان يفعل ذلك باعتدال ورغبة في الحديث . وكان قبل الحرب يقبل على الأنواع الوازدة من اسكتلاندة وأمريكا ، ولكنه كان وقتئذ يكتفي بنوع سنتوري ، وهو خير أنواع الويسكي المصنوعة في اليابان .

جلس دكتور فوجي متربعاً في ملابس داخلية على الحصير النظيف المبسوط في الرواق ، ووضع نظارتيه على عينيه ، وأخذ يقرأ جريدة « أساهي » التي تصدر في أوزاكا ؛ وكان يجب قراءة أخبار هذه المدينة لأن زوجته هناك . رأى البريق الذي ظهر أمام عينيه - حيث كان يتجه إلى غير مركز المدينة ويقرأ في جريدة - كأنه ذو لون أصفر براق . واستولى عليه الجزع ، فهمم أن يقوم من جلسته . وفي تلك اللحظة (وكان على بعد ١٥٥ ياردة من المركز) أخذ المستشفى ينحني من ورائه ، وفي صوت فظيع يسقط في النهر . وقذف الطبيب بالحطام وهو على وشك القيام من بين يديه ومن خلفه ومن فوقه ، وكان يضربه من كل جانب ويطبق عليه ، وفقد الاحساس بكل شيء إذ كانت الأمور تتعقد بسرعة ثم أحس بالماء .

لم يكد الدكتور فوجي يشعر بأنه على وشك الموت حتى استيقن أنه لا يزال حيا ، وقد أطبقت على صدره خشبتان طويلتان تعارضتا على شكل مثلث ؛ وكان كأنه قطعة من اللحم معلقة بين مقطعين كبيرين للحوم . وقد أمسكت به الخشبتان حتى ليكاد يكون قائماً ، ولكنه لا يستطيع الحراك . وقد بقي رأسه بمعجزة فوق الماء إذ كان سائر جسمه في الماء . وكانت بقايا المستشفى عائمة من حوله ، وهي خليط عجيب من قطع الأخشاب والمواد التي تعالج بها الآلام ، وكان يحس الماء شديداً في كتفه اليسرى وقد فقد نظارتيه .

كان الأب فيلهلم كلاينسورج من اليسوعيين ، في صباح يوم الانفجار في صحة غير جيدة ؛ فان الطعام المقدر لليابانيين في أثناء الحرب لم يكن يكفيهم . وكان أجنبياً فأخذ يؤله بازدياد كراهية اليابانيين للأجانب حتى الألمان منهم ؛ إذ صاروا مكروهين بعد هزيمتهم في وطنهم . وكان الأب كلاينسورج في الثامنة والثلاثين من عمره ولكن كان له منظر الفتى الذي ينمو سريعاً : فوجهه نحيل ، وحنجرته بارزة ، وصدره مطبق ، وذراعا طويلتان مرتحيتان إلى جنبه ، وقدماه كبيرتان ، وكان غير منتظم في مشيته إذ يسير منحنيًا قليلاً إلى الأمام ويشعر دائماً بالتعب . ومما زاد حالته سوءاً أنه أصيب منذ يومين بأسهال مؤلم ملح مع زميل له هو الأب شيزليك ، وقد عزواه إلى طعام الفول والخبز لأسود الذي كانا يضطران إلى أكله . على أن قسين آخرين كانا يشاطرانها

مسكن البعثة الواقع في حي نوبورى - تشو - وهما رئيس البعثة الأب لارسال والأب شيفر - لم يصابا بهذا المرض لحسن حفظهما . استيقظ الأب كلايسورج في الساعة السادسة من صبيحة اليوم الذى أقيمت فيه القنبلة ، وبعد نحو نصف ساعة - وكان متأخراً قليلاً بسبب مرضه - أخذ يتلو الصلاة في كنيسة البعثة . وهى بناء خشبى صغير على الطراز اليابانى ليست به مقاعد ؛ لأن المتعبدين يجثون على الأرض المغطاة بالحصص على الطريقة اليابانية ، أمام مذبح مزين بالخرائر الفخمة والنحاس والفضة وغيرها من زخارف . وكان المتعبدون في هذا الصباح وهو يوم اثنين ، هم مستر تكيموتو ، وهو طالب لاهوت يعيش في دار البعثة ، ومستر فوكاى سكرتير البعثة ، والسيدة مورانا مديرة الدار وهى مسيحية شديدة التمسك بدينها ، وزملاؤه من القساوسة . ولما تمت الصلاة وأخذ الأب كلايسورج يقرأ صلاة الشكر، إذا بصوت الصفارة ينذر ؛ فوقفت الصلاة ، وسار أعضاء البعثة محتازين الفناء إلى بناء دارهم الكبيرة . وهناك ذهب الأب كلايسورج إلى غرفته في الطبقة الأرضية إلى اليمين من الباب الأمامى ، وارتدى لباساً حريماً كان قد اتخذه عندما كان يعُلم في مدرسة ووكو المتوسطة بكوبي ، وكان يرتديه عند الانذار بالغازات .

وكان من عادة الأب كلايسورج بعد الانذار الغازة ، أن يخرج ويفحص السماء . وعندما فعل ذلك هذه المرة سر إذ لم ير غير طائرة الاستطلاع التى تطير كل يوم فوق هيروشيما في مثل ذلك الوقت ، فاقنع بأنه لن يحدث شئ وعادفتناول طعام الفطور مع الآباء الآخرين ، وهو مؤلف من قهوة صناعية وخبز أسود ، وكان هذا الطعام في هذه الأحوال بغيضاً إليه بصفة خاصة . ثم جلس الآباء وتحدثوا ملياً إلى الساعة الثامنة ، ثم سمعوا زوال الخطر وذهب كل منهم إلى جانب من البناء : فالأب شيفر ذهب إلى غرفته للكتابة ، والأب شيزلك جلس في غرفته على مقعد مستقيم ووضع وسادة على معدته لتخفيف الألم وأخذ في القراءة . ووقف رئيس البعثة الأب لارسال في نافذة غرفته يفكر . وذهب الأب كلايسورج إلى غرفة في الطابق الثالث وخلع ملابسه ماعدا الملابس الداخلية وتمدد على جانبه الأيمن فوق سرير وأخذ يقرأ في مجلة « أبناء الزمن » . بعد البريق الخفيف - الذى ذكر الأب كلايسورج فيما بعد أنه ذكره

بشئٍ قرأه وهو غلام عن شهاب كبير اصطدم بالأرض - وجد الأب وقتاً (إذ كان على بعد ١٤٠٠ ياردة من المركز) ليفكر في أمر واحد هو : أن قبلة قد سقطت مباشرة عليهم ، ثم استولت عليه مدة ثوان أو دقائق دهشة حتى زايه الوعى .

لم يعرف الأب كلاينسورج قط كيف خرج من الدار ، والأمر التالية التي شعر بها هى أنه يسير على غير هدى حول حديقة الخضراوات فى أرض البعثة وهو فى ملبسه الداخلية ، وتترف منه دماء قليلة من جروح صغيرة فى فخذة اليسرى ، وأن جميع ماحوله من الأبنية قد انهار ماعدا دار بعثة اليسوعيين التى قام قس اسمه جروبر بتقويتها أكثر من مرة ، إذ كان يخشى الزلازل ، وأن النهار قد أظلم ، وأن السيدة مورانا المدبرة للدار كانت على مقربة منه ترددت بلفتها : « فلتشفق علينا يا سيدى المسيح » .

كان الدكتور تيروفوى سازاكى جراح مستشفى الصليب الأحمر ، وهو عائد بالقطار من الريف حيث يعيش مع أمه إلى مدينة هيروشيا ، يفكر فى حلم مزعج رآه فى الليلة السابقة . وكانت دار والدته فى موكايمارا وهى على ثلاثين ميلا من المدينة ؛ فهو يقطع ساعتين بالقطار والترام حتى يصل إلى المستشفى . وكان نومه مضطرباً فى تلك الليلة ، واستيقظ قبل الوقت المعتاد بساعة وهو يشعر بمجمود وشئ من الحمى . وبدا له ألا يذهب إلى المستشفى غير أن شعوره بالواجب حمله أخيراً على الذهاب . وعلى ذلك ركب قطاراً قبل القطار الذى كان يركبه عادة فى الأيام الأخرى . وقد أزعجه الحلم بصفة خاصة لأنه كان مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً ولو أنه سطحي بواقعة فعلية مزعجة . فانه عندما أتم دراسته الطبية فى الجامعة الطبية الشرقية بمدينة بسنجتاو بالصين ، وكان فى الخامسة والعشرين من عمره ، وهو شاب مثالى ، شعر بحزن شديد لقلّة الوسائل الطبية فى البلدة الريفية التى تعيش فيها أمه . فأخذ بدون أن يحصل على ترخيص يزور بعض المرضى فى المساء ، وذلك بعد أن يشتغل ثمانى ساعات فى المستشفى وأربع ساعات فى التطيب . ولقد علم حديثاً أن العقوبة على العمل بدون ترخيص شديدة ، واستشار فى ذلك أحد الأطباء من زملائه فأنبه وعنفه . ومع ذلك استمر فى علاج الناس . ورأى فيما يراه النائم أنه كان

إلى جانب مريض في الريف ، فاذا برجال الشرطة والطبيب الذي استشاره يقتحمون الغرفة ويقبضون عليه ويجرونه إلى الخارج ويضربونه ضرباً قاسياً. وفي القطار اعتزم أن يترك العمل في موكايبارا إذ أحس أنه من المستحيل أن يحصل على ترخيص ؛ لأن السلطات ترى أن الترخيص يتعارض مع واجباته في مستشفى الصليب الأحمر .

وعندما بلغ نهاية رحلته ركب سيارة من سيارات النقل في التو . (ولقد قدر فيما بعد أنه لو أخذ قطاره العادي في ذلك الصباح ، وانتظر سيارة النقل بضعة دقائق كما كان يحدث عادة ، لكان في مركز المدينة عند الانفجار وهلك بلا ريب .) فوصل إلى المستشفى في الساعة السابعة وأربعين دقيقة . ومر على رئيس الجراحين لينبئه بوصوله . وبعد دقائق ذهب إلى حجرة في الطابق الأول وأخذ بعض الدم من ذراع رجل ليجرى فيه تجربة فاسرمان . وكان العمل الذي يتولى على الساخن لاجراء التجربة في الطابق الثالث . وأمسك بنموذج اندم في يده اليسرى ، وأخذ يسير وهو مشنت الفكر منذ الصباح ، بسبب حلمه المزعج ونومه القلق ، مجتازاً المشى الرئيسى إلى السلم . وكان قد جاوز نافذة مفتوحة بخطوة واحدة عندما رأى انعكاس ضوء القنبلة في المشى كأنه بريق فوتوغرافى ، فثنا على إحدى رجليه وقال لنفسه في هدوء لا يستطيعه غير اليابانى : « تشجع يا سزاكى ! » وفي تلك اللحظة (وكان البناء على بعد ١٦٥ ياردة من المركز) مرت ريح عاصف على المستشفى ، فطارت نظاراته من وجهه ، وتحطمت قارورة الدم على أحد الحوائط ، وطارت نعله اليابانية من قدميه ، ولكنه لم يصبه شئ غير ذلك ، بفضل المكان الذى كان فيه .

صاح الدكتور سزاكى منادياً رئيس الجراحين ، ثم جرى مسرعاً إلى مكتب هذا الرئيس ، فألقى به جروحاً كبيرة من الزجاج . ولقد صار المستشفى في فوضى شديدة ؛ إذ سقطت أسقف وحواجز على المرضى ، وانقلبت السرر ، وانخلعت النوافذ إلى الداخل ، فجرح الناس ولطخت الدماء الحيطان والأرض ، وانتثرت الأدوات في كل مكان . وكان بعض المرضى يجرون صارخين والكثير منهم موتى . (ومن مات زميل للدكتور سزاكى يعمل في العمل الذى كان يقصده هذا الطبيب ؛ ومات المريض الذى تركه الطبيب منذ لحظة والذى كان يخشى

أن يكون مصاباً بمرض الزهري .) وقد ألفى دكتور سازاكي نفسه الطبيب الوحيد الذى لم يصب بأذى . اعتقد الدكتور سازاكي أن العدو ضرب المستشفى لى يعمل فيه وحده ، فجاء بضامات وأخذ يربط جراح أولئك الذين فى المستشفى ، على حين كان فى خارجه وفى سائر أنحاء هيروشيا جميع الأهالى الذين بترت أعضاؤهم والذين هم على وشك الموت يجرون أنفسهم نحو مستشفى الصليب الأحمر ليلوذوا بهذا المستشفى مما حمل الدكتور سازاكي على أن ينسى حلمه المزعج مدة طويلة .

قامت الأنسة توشيكو سازاكي الكاتبة بمصانع الصفيح بشرق آسيا ، التى ليست لها قرابة بالدكتور سازاكي ، فى الساعة الثالثة من صباح اليوم الذى أقيت فيه القنبلة . وكان عليها عمل فى الدار أكثر من العادة ؛ فقد حدث لأخيها الصغير الذى يبلغ من العمر أحد عشر شهراً اضطراب معدى خطير فى اليوم السابق ، فحملته أمه إلى مستشفى الأطفال بتامورا وباتت معه . وكانت الأنسة سازاكي فى نحو العشرين من عمرها وعليها أن تطهى طعام الفطور لأبيها وأخ وأخت ولفسها . وفضلا عن ذلك — إذ كان المستشفى بسبب الحرب لا يستطيع تقديم طعام — كان عليها أن تعد طعام يوم كامل لأمها وللطفل ، بحيث يستطيع والدها الذى يشتغل فى مصنع لعمل صمامات من المطاط لرجال المدفعية ، أن يأخذ هذا الطعام فى طريقه إلى المصنع . ولقد انتهت من تحضير الطعام وتنظيف أدوات الطهى عندما أشرفت الساعة على السابعة . وكانت الأسرة تعيش فى حى كوى ، ويستغرق الذهاب إلى مصانع الصفيح خمساً وأربعين دقيقة ؛ إذ كانت هذه المصانع تقع من المدينة فى الجزء المسمى كانون — ماتشى . وهى كانت تتولى سجلات المستخدمين فى المصنع . وقد برحت كوى فى الساعة السابعة ، وعندما وصلت إلى المصنع ذهبت مع غيرها من الفتيات من إدارة المستخدمين إلى ردهة المصنع . فان رجلا معروفاً من رجال البحرية ومن مستخدمي المصنع من قبل انتحرف فى اليوم السابق بأن ارتقى تحت قطار ؛ وهى ميتة تعد شريفة ، فتسمح باقامة صلاة لذكراه . وكانت هذه الذكرى ستقام فى مصنع الصفيح فى الساعة العاشرة من الصباح .

وقد قامت الأنسة سزاكي ومن معها من الفتيات بما يناسب من ترتيب لهذا الاجتماع ، واستغرق هذا العمل نحو عشرين دقيقة .
 عادت الأنسة سزاكي إلى حجرتها ، وجلست إلى مكتبها ، وكانت بعيدة عن النوافذ التي تقع إلى يسارها ، وكان خلفها قمطران طويلان للكتب فيهما جميع الكتب التي توجد في مكتبة المصنع ، وقد رتبها إدارة المستخدمين . جلست الأنسة إلى مكتبها ووضعت بعض أشياء في أحد الأدراج ونقلت بعض الأوراق ، وفكرت قبل الابتداء في كتابة قوائم المستخدمين الجدد ، وفصل المستخدمين ، وانتقال بعضهم إلى الجيش ، أن تتحدث قليلا إلى الفتاة الجالسة إلى يمينها . وبمجرد أن أدارت رأسها إلى الجهة المعارضة للنوافذ امتلأت الحجره بضوء يعشى الأبصار ؛ فاضطرب جسمها من الخوف ، وظلت ملازمة مقعدها لحظة طويلة . (وكان المصنع على بعد ١٦٠٠ ياردة من المركز .)

سقط كل شيء ، وأغمى على الأنسة سزاكي ، وانهار السقف فجأة وتناثر الأخشاب من فوقها . وسقط الناس الذين كانوا في الطابق الذي فوقها وقد خر عليهم السقف من فوقهم . ولكن أهم شيء حدث لها أن انحنى قمطرا الكتب اللذان كانا من ورائها إلى الأمام ، وقذف بها ما يحتويانه إلى الأرض ، واثنت رجلها اليسرى اثناء فظيلاً حتى انكسرت تحتها . وفي مصنع الصفيح هذا وفي أول لحظة من عصر القنبلة الذرية كانت الكتب تحطم مخلوقاً بشرياً .